Al-Dirasat Al-Islamiyyah (Islamabad) 32:3 (1996)

أيسر السبل لرواية الإمام حفص بقصر المنفصل

عبدالقيوم بن عبدالغفور السندي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فإن من أفضل ما يشتغل به العبد ليتقرب به إلى ربه ـ عزوجل ـ هو: قراءة القرآن الكريم مرتّلاً مجوّداً كما أنزله رب العالمين على خاتم الأنبياء والمرسلين. ولا يكون ذلك ولا يتحقق إلا بمعرفة أحكامه التى استنبطت من كيفية تلاوة الرسول صلى الله عليه وسلم وتكفل ببيانها علماء التجويد فى مؤلفات ورسائل بالإجمال والتفصيل منذ القديم.

ومما لا ريب فيه أن القرآن الكريم نزل من الله ـــ عزوجل ـــ بالأحرف السبعة تيسيراً على الأمة وتخفيفاً عنها.

وقد قرأ الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ القرآن الكريم بالوجوه المختلفة المنزلة عليه، وأقرأ أصحابه ـــ رضى الله عنهم ـــ بتلك الوجوه وتلقاها منهم تلامذتهم من التابعين مشافهة، ثم تجرد

© Dr Muhammad Hamidullah Library, IIU, Islamabad. http://iri.iiu.edu.pk/

قوم منهم ومن أتباعهم للتخصص فيها، واعتنوا بضبط القراءات أتمَّ عناية حتى صاروا أئمة يقتدى بهم فى ذلك ويرحل إليهم، ويؤخذ عنهم هذا العلم، وقد أجمع أهل بلدهم على تلقى قراءاتهم بالقبول، ولتصديهم للقراءة والإقراء نسبت إليهم. فيقال: قراءة الإمام نافع، قراءة الإمام ابن كثير، قراءة فلان وقراءة فلان.... وهكذا.

ومن جملة القراءات المتواترة التى أجمعت الأمة على قبولها واختارها الإمام ابن مجاهد (ت:٣٢٤هـ) وألف فيها كتابه "السبعة": قراءة الإمام عاصم بن أبى النجود الكوفى (ت: ١٢٧- أو - ١٢٨هـ).

وقد تلقى هذه القراءة عن الإمام عاصم خلق لا يحصون كثرة إلا أن من أشهرهم وأضبطهم لقراءته:

١- الإمام أبوبكر شعبة بن عياش (٩٥-١٩٣هـ)

٢- الإمام أبو عمر حفص بن سليمان الأسدى (٩٠-١٨٠هـ)

وهما اللذان اكتفى بروايتيهما الإمام أبو عمروالدانى (٣٧١-٤٤٤هـ) فى كتابه "التيسير" وهو الكتاب الذى اعتمده الإمام الشاطبى (٥٣٨- ٥٩٠هـ) ونظمه فى لاميته المعروفة "بالقصيدة الشاطبية".

ورواية الإمام حفص ـ من أجل اتصافها باليسر والسهولة ـ حظيت بالقبول فى الأمة الإسلامية، وانتشرت فى أرجاء المعمورة، فنرى أن فى أكثر من ثلثى العالم الإسلامى لا تُقرأ اليوم إلا روايته ـ رحمه الله تعالى ـ.

وروايته هى الرواية الصحيحة التى رويت عن قراءة الإمام عاصم بن أبى النجود الكوفى - كما يقول ابن معين رحمه الله -[1].

ولرواية الإمام حفص ـ رحمه الله ـ طرق كثيرة، من أشهرها:

١ـ طريق الإمام عمرو بن الصباح (ت: ٢٢١هـ).

٢ـ طريق الإمام عبيد بن الصباح (ت: ٢٣٥هـ).

وطريق عبيد بن الصباح هو الطريق التيسير والشاطبية، أما الإمام ابن الجزرى فقد توسعت الطرق عنده وكثرت حتى أصبحت لديه لرواية الإمام حفص من طريقى: عمرو وعبيد فقط: اثنتان وخمسون طريقاً.(٢)

ولقلة الطرق لدى صاحب التيسير والشاطبية اشتهر هذا الطريق لدى عامة الناس، واكتفى الأكثرون بما وصل إليهم من هذا الطريق.

المد المنفصل:

من جملة الأحكام والمسائل أو الخلافات الأصولية لدى القراء: مسألة المدود.

ولا حاجة لنا ـ هنا ـ إلى ذكر المدود وشرحها بالتفصيل وبيان أنواعها وأسبابها وشروطها ومقاديرها... فلها مقام آخر ـ وإنما الذى يهمنا هنا هو: مسألة:

"المد المنفصل ـ فى رواية الإمام حفص من طريق الشاطبية" الذى هو طريق عامة الناس الآخذين برواية الإمام حفص لم يرد عنه ـ من هذا الطريق ـ إلا التوسط (المقدر بأربع حركات) أو فويق التوسط (المقدر بخمس حركات)، لكن شاع بين الناس من طلبة العلم وحفاظ القرآن الكريم ـ منذ أعوام أخيرة ـ قصر المد المنفصل على

الإطلاق دون علم بالأوجه وبصيرة بالطرق وما يترتب عليه من الأحكام التى يجب الأخذ بها مع قصر المنفصل الذى هو طريق الإمام ابن الجزرى فى طيبته.

وقد شاع ذلك و ذاع بين الحفاظ من المعلمين والطلبة تقليداً لما سمعوه من بعض القراء المشهورين فى العصر الحاضر، أمثال الشيخ محمود خليل الحصرى، والشيخ محمد صديق المنشاوى - رحمهما الله تعالى - وغيرهما من القراء، ولكنهم لا يأخذون منهم إلا وجه قصر المنفصل فقط، ويظنون أنه وجه جائز على الإطلاق فى رواية الإمام حفص، وما يهمهم إلا الاختصار فى وقت القراءة، خاصة فى شهر رمضان المبارك فى صلاة التروايح، ولا ينتبهون للأحكام المترتبة على وجه القصر، ولا يفرقون بين الطريق المتداول ـ طريق الشاطبية - وطريق الطيبة، وقد نجد البعض أنه من شدة اهتمامه بالقصر يتجاوز مرتبة القصر ويصل إلى مرتبة البتر ويكاد يحذف حرف المد من أصله. ولا حول ولا قوة إلا باللّه.

كما يلاحظ على أغلب من يحرص على القصر فى المنفصل أنه يطول فى المد العارض للسكون ويخرج من الإشباع فيه إلى حد الإفراط، رغم جواز الأوجه الثلاثة - القصر والتوسط والطول ـ فيه، ولا يعلم أن تسوية الممدود أمر مهم، قال الإمام ابن الجزرى فى مقدمته: واللفظ فى نظيره كمثله.

ولأجل ذلك أحببت أن ألفت أنظار حملة القرآن حفظته وطلبته إلى هذه المسألة المهمة التى وقع فيها كثير من الناس - اليوم -

عن غفلة أو جهل أو تساهل فى أمر قراءة القرآن الكريم، وأود أن أساهم فى بيان هذه الحقيقة وتصحيح هذا المفهوم الخاطئ، فالدين النصيحة، لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم، فأقول وبالله التوفيق:

تعريف المد المنفصل:

هو أن يقع حرف المد فى آخر الكلمة الأولى، والهمزة فى أول الكلمة التالية، نحو:

١- ﴿**وما يخدعون إلآ أنفسهم**﴾[٣]

٢- ﴿**قوآ أنفسكم**﴾[٤]

٣- ﴿**وأفوّض أمرى إلى اللّه**﴾[٥]

سمى منفصلاً: لانفصال حرف المد عن الهمزة أو لانفصال الشرط عن السبب.

وحكم مده: الجواز، لجواز قصره ومده ـ عند بعض القراء ـ أو لجواز الأوجه المتعددة فى مقدار مده[٦].

وللقراء فى مقدار مده مذاهب متعددة ومراتب مختلفة، بحيث يقول المحقق ابن الجزرى:

"وقد اختلفت العبارات فى مقدار مده اختلافاً لا يمكن ضبطه، ولا يصح جمعه، فقلّ من ذكر مرتبة لقارئ إلا و ذكر غيره لذلك القارئ ما فوقها أوما دونها"[٧].

ثم ذكر ـ رحمه الله ـ سبع مراتب للقراء فى مقدار مد المنفصل[٨]. والمأخوذ به منها خمس مراتب فقط وهى:

١- القصر (حركتان)

٢- فويق القصر (ثلاث حركات)

٣- التوسط (أربع حركات)

٤- فويق التوسط (خمس حركات)

٥- الاشباع (ست حركات)

ولم يرد فى المد المنفصل على رواية الإمام حفص من طريق الشاطبية إلا:

١- التوسط : المقدر بأربع حركات.

٢- فويق التوسط : المقدر بخمس حركات[٩].

هل يجوز قصر المنفصل؟

لا كلام فى جواز قصر المنفصل ـ وهو الإكتفاء بإبقاء ذات حرف المد والنطق به بدون زيادة وتطويل فى زمن صوته ـ فهو وجه ثابت صحيح مقروء به كبقية الوجوه القرائية.

وقد ثبت ذلك بالتواتر عن ابن كثير وأبى جعفر ويعقوب الحضرمى والسوسى عن أبى عمرو قولاً واحداً.

وثبت عن قالون والدورى عن أبى عمرو بخلف عنهما[١٠].

وثبت عن الإمام حفص ـ بخلف عنه ـ من طريق طيبة النشر، وهو طريق زرعان عن عمرو بن الصباح عنه، وهو المشهور عند العراقيين من طريق الفيل أيضاً[١١].

ومن ثمَّ نقول:

يجوز قصر المنفصل للعوام وعامة الناس - ليس على أنه رواية الإمام حفص عن عاصم - بل على أساس أنه وجه من وجوه قراءة القرآن الكريم.

ولكن لما أن قصر المنفصل لم يرد من طريق الحرز – الشاطبية - وهو الطريق المتداول فى الأمة - كما أسلفت – فلذلك نمنع الخواص - ومنهم معلمو القرآن الكريم والمحفظون فى حلقات التحفيظ الذين تلقوا رواية الإمام حفص مشافهة وأجيزوا فيها – من استعمال هذا الوجه – على الإطلاق – فلا ينبغى لهم ذلك، بل يعاب عليهم لأنه خلط فى الطرق وتركيب فى الوجوه، وقراءة على غير بصيرة، بل هو كذب فى الرواية.

يقول الإمام ابن الجزرى – فيما نقل الدمياطى من كلامه حول موضوع تركيب الأوجه وخلط الطرق مفرِّقاً بين مقام الرواية ومقام التلاوة:

"فإن قرأ بذلك على سبيل الرواية لم يجز أيضاً، من حيث إنه كذب فى الرواية، وإن لم يكن على سبيل الرواية بل على سبيل القراءة والتلاوة فإنه جائز صحيح مقبول، لا منع منه ولا حظر، وإن كنا نعيبه على أئمة القراءات، من حيث وجه تساوى العلماء بالعوام، لا من وجه أن ذلك مكروه وحرام، إذ كل ذلك من عند الله تعالى، نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين – صلى الله عليهما وسلم – تخفيفاً عن الأمة وتسهيلاً على أهل هذه المنة، فلو أوجبنا

عليهم قراءة كل رواية على حدة لشق عليهم، وانعكس المقصود من التخفيف وعاد الأمر بالسهولة إلى تكليف"(١٢).

ومن ثمَّ نقول للخواص: إن من أراد القراءة بقصر المد المنفصل فعليه أن يتقيد بطريق الطيبة ويراعى الأحكام المترتبة على هذا الوجه من هذا الطريق، وهى كثيرة، ولابد فيها من التلقى مشافهة من الشيوخ النابهين والتمرن عليها(١٣).

وفيما يلى نذكر بالإيجاز حالة واحدة من الحالات المتعددة للأحكام التى يجب مراعاتها، وهى حالة:

القصر المطلق ـ أى بدون استثناء مد التعظيم ـ فى المد المنفصل مع التوسط (أربع حركات) فى المد المتصل من طريق الطيبة.

فمن قرأ بذلك فعليه مراعاة مايلى:

١- وجوب إدغام النون الساكنة والتنوين فى اللام والراء إدغاماً كاملاً بغير غنة،

نحو: ﴿**من لدنه**﴾ و ﴿**هدى للمتقين**﴾ و ﴿**محمد رسول اللّه**﴾ و ﴿**من رزق ربكم**﴾.

والوجه الآخر من الطيبة ـ هو الإدغام بالغنّة فى جميع حروف "يرملون" ولكنه مقيد بحالة القصر المقيد فى المنفصل أى بإستثناء كلمة التوحيد، فتمد بالتوسط تعظيماً.

٢- وجوب القراءة بالصاد فقط فى الكلمات التالية:

﴿**يبصط**﴾ فى البقرة: ٢٤٥، وتقرأ ـ من الحرز ـ بالسين فقط.

﴿**بصطة**﴾ فى الأعراف: ٦٩، وتقرأ ـ من الحرز ـ بالسين فقط.

﴿**بمصيطر**﴾ فى الغاشية: ٢٢، وتقرأ ـ من الحرز ـ بالصاد فقط.

٣- وجوب القراءة بالسين فقط فى كلمة ﴿**المصيطرون**﴾ فى الطور: ٣٧، وتقرأ ـ من الحرز ـ بالوجهين ويقدم وجه الصاد فى الأداء.

٤- وجوب الأخذ بوجه الإبدال فقط فى الكلمات التالية:

﴿**ء الذكرين**﴾ موضعان بالأنعام: ١٤٣- ١٤٤.

﴿**ء الئن**﴾ موضعان بيونس: ٥١- ٩١.

﴿**ء اللّه**﴾ موضع بيونس: ٥٩ وآخر بالنمل: ٥٩.

والثلاثة تُقرأ ـ من الحرز ـ بالإبدال والتسهيل. وفى حالة الإبدال يكون المد من قبيل اللازم فتمد بقدر ست حركات.

٥- وجوب إدغام الباء فى الميم ﴿**اركب معنا**﴾ بسورة هود: ٤٢. ويجب فيها الإظهار ـ من الطيبة ـ فى حالة قصر المنفصل المقيد.

٦- وجوب إظهار النون الساكنة عند الواو فى:

﴿**يس والقرآن**﴾ و ﴿**ن والقلم**﴾ كما فى الحرز.

والوجه الثاني من الطيبة: إدغام النون في الواو بغنّة في الموضعين. لكنه من طريق زرعان عن عمرو بن الصباح[١٤].

٧- وجوب الأخذ بوجه السكت فى المواضع الأربعة المعروفة المتفق عليها:

﴿**عوجا ۜ قيما**﴾ بسورة الكهف : ١-٢.

﴿**من مرقدنا ۜ هذا**﴾ بسورة يس : ٥٢.

﴿**من ۜ راق**﴾ بسورة القيامة: ٢٣.

﴿**بل ۜ ران**﴾ بسورة المطففين: ١٤، ويجب عدم السكت فى الأربعة من الطيبة ـ فى حالة القصر المقيد.

٨- وجوب الأخذ بوجه التوسط فقط فى حرف "عين" من فاتحة مريم والشورى، دون القصر والاشباع، وفيها التوسط والإشباع من الشاطبية، وكذلك من الطيبة ولكن مع القصر المقيد، وفيها القصر فقط ـ من الطيبة ـ مع القصر المطلق والإدغام الكامل فى اللام والراء.

٩- وجوب الأخذ بوجه فتح الضاد فى كلمة ﴿**ضَعْف**﴾ ـ المجرورة والمنصوبة ـ فى مواضعها الثلاثة بسورة الروم: ٥٤، وتقرأ بالفتح والضم ـ من الحرز ـ مع تقديم الفتح فى الأداء.

١٠- وجوب حذف الألف بعد اللام الثانية ـ وقفاً ـ فى كلمة ﴿**سلسلا**﴾ بالدهر: ٤، وفيها الحذف والإثبات ـ من الحرز ـ، والإثبات فقط ـ من الطيبة ـ مع القصر المقيد فى المنفصل.

١١- جواز التكبير وعدمه من آخر سورة "الضحى" إلى آخر سورة "الناس". ولم يرد التكبير من الشاطبية.(١٥)

هذه حالة واحدة فقط لقصر المنفصل التى ترتب عليها أحد عشر حكماً.

وهناك حالات أخرى لقصر المنفصل تترتب عليها مراعاة الأحكام الأخرى، تركنا ذكرها هنا ـ طلباً للإختصار ـ واكتفينا بالتمثيل بحالة واحدة ليعلم أن الأخذ بوجه القصر فى المنفصل ليس على إطلاقه، بل لابد من مراعاة الدقة فى الأخذ به تجنبا عن الوقوع فى المحظور الذى هو بذاته كذب فى الرواية وتركيب فى الطرق وقد منعه العلماء بل شدد فى ذلك البعض، لأن الأصل فى قراءة القرآن الكريم هو التلقى والرواية لا الاجتهاد ولا القياس.

قال الشاطبي ـ رحمه الله ـ:

وما لقياس في القراءة مدخل فدونك ما فيه الرضا متكفلا(١٦)

وقد أفتى شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ بعدم جواز القراءة بمجرد الرأى، وساق لذلك أدلة كثيرة من كلام السلف وقال كما قال زيد بن ثابت ـ رضى الله عنه ـ:

"القراءة سنة يأخذها الآخر عن الأول" وذكر كلام ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ "فأقرءوا كما علمتم" وانتهى من ذلك إلى قوله:

"ليس لأحد أن يقرأ بمجرد رأيه بل القراءة سنة متبعة" إلى أن قال: "والاعتماد فى نقل القرآن على حفظ القلوب لا على المصاحف"(١٧).

ويقول شيخنا الشيخ عبد الفتاح المرصفى ـ رحمه الله ـ:

"وهذا الذى أفتى به شيخ الإسلام هو ما عليه جميع علماء القراءة وقد نص عليه غير واحد من أعيانهم، منهم العلامة أبو العاكف محمد أمين أفندى زاده ـ شيخ القراء فى وقته باستنبول ـ والعلامة المحقق على محمد الضباع ـ شيخ القراء والإقراء بالديار المصرية الأسبق ـ وقبلهما قال بذلك العلامة النويرى ـ تلميذ الإمام ابن الجزرى ـ والعلامة القسطلانى فى لطائفه، وقد قطع الإمام مصطفى بن عبدالرحمن الإزميرى ـ رحمه الله ـ بأن حكم التركيب: التحريم، وجعل الاحتراز عنه باعثه على تأليف كتابه: عمدة العرفان فى تحرير أوجه القرآن..."

ويقول الشيخ ـ رحمه الله ـ:

"وهكذا أقول، لأقطع الطريق على كل مترخص يتلاعب بجلال كلام اللّه تعالى".(١٨)

ويقول الشيخ ـ رحمه الله ـ فى الرد على من أطلق الوجوه المتعددة فى المد المتصل والمنفصل:

"ولا ريب أن إطلاق الزيادة بالإشباع لحفص فى المد المتصل أو بالقصر له فى المد المنفصل على هذا النحو... ليس صواباً، ذلك أن مرتبة الإشباع لحفص فى المد المتصل لم ترد عنه من طريق الشاطبية الذى هو طريق عامة الناس، وإنما تصح له ـ كبقية القراء العشرة ـ من طريق طيبة النشر فى قول، وكذلك فإن قصر المنفصل لحفص لم ينقل عنه من طريق الشاطبية كذلك، ولكن ثبت له من طريق طيبة النشر فى قول كذلك، وطريق طيبة النشر

هذا... لايسلكه إلا العارفون من خواص أهل هذا الشأن لدقته وكثرة ما يترتب عليه من الأحكام العلمية والعملية فى الأداء، وهى صعبة متعذرة على غير المتخصص الواعى".(١٩)

خلاصة القول:

إن القصر فى المنفصل وجه صحيح ثابت متواتر مأخوذ به لبعض القراء المشهورين من رواة القراءات العشر وهو ثابت فى رواية الإمام حفص من طريق الطيبة فى قول، ويجوز الأخذ به فى التلاوة لجميع الناس كوجه من وجوه التلاوة، إلا أنه لا يجوز لأحد الأخذ به من حيث نقل الرواية إلا بشرطه.

فمن أراد نقل رواية الإمام حفص من طريق الطيبة فعليه مراعاة مايلى:

١- قراءة الكلمات التالية بالصاد فقط:

﴿**يبصط**﴾ بالبقرة: ٢٤٥؛

﴿**يصطة**﴾ بالأعراف: ٦٩؛

﴿**بمصيطر**﴾ بالغاشية:٢٢؛

٢- قراءة كلمة ﴿**المصيطرون**﴾ بالطور: ٣٧ بالسين فقط؛

٣- الأخذ بالإبدال فى الكلمات التالية دون التسهيل:

﴿**ءآلذكرين**﴾ بالأنعام: ١٤٣-١٤٤؛

﴿**ءآلئن**﴾ بيونس: ٥١، ٩١؛

﴿**ءآلله**﴾ بيونس: ٥٩، وبالنمل: ٥٩؛

٤- توسط المد فى حرف "عين" من فاتحة سورتى مريم والشورى - دون الإشباع.

٥- قراءة كلمة ﴿**ضعف**﴾ بالروم: ٥٤ فى المواضع الثلاثة بالفتح فقط.

٦- حذف الألف بعد اللام الثانية وقفا فى كلمة ﴿**سلاسلا**﴾ بالدهر: ٤.

٧- جواز التكبير من آخر سورة "الضحى" إلى آخر سورة "الناس".

هذه هى زيادات الطيبة على الشاطبية ـ فى الحالة المذكورة أعلاه ـ وفى بقية الأوجه تتفقان معاً.

قال أبو طاهر:

من أجل تلك النصوص للفحول، ومن أجل أن لا نقع فى المحظور المذكور: أنصح إخوانى من حفظة القرآن الكريم طلاباً ومعلمين أن لا يقرءوا بقصر المد المنفصل إلا بشرطه وبالتقيد بطريقه، ومراعاة ما يترتب عليه.

وأخيراً: أسأل البارى - عزاسمه - أن يجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء أحزاننا وذهاب همومنا وغمومنا، وأن يوفقنا للعمل بالمحكمات والإيمان بالمتشابهات من الآيات الكريمات.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

هـــوامـش

١- انظر **غاية النهاية** لابن الجزرى ٢٥٤/١.

٢- راجع **النشر في القراءات العشر** لابن الجزرى ١٥٢/١-١٥٥.

٣- سورة البقرة: ٩.

٤- سورة التحريم: ٦.

٥- سورة غافر: ٤٤.

٦- راجع **هداية القارئ** للمرصفى ص :٢٨٤.

٧- **النشر** لابن الجزرى ٣١٩/١.

٨- المرجع السابق ٣٢١/١-٣٢٦.

٩- راجع **العميد في علم التجويد** للشيخ محمـود بسـة ص: ٨٦، وهدايـة القـارى للشيخ المرصفى، ص: ٢٨٥.

١٠- راجع **البدور الزاهرة** للشيخ عبدالفتاح القاضى ص : ١٥.

١١- انظر **النشر**: ٣٢١/١-٣٢٢.

١٢- **اتحاف فضلاء البشر** للدمياطي: ١٠٥/١ -١٠٦.

١٣- راجع لمعرفة تلك الحالات والأحكام بالتفصيل، **هداية القارئ** للشيخ المرصفى ص: ٢٩٣- ٢٩٩.

١٤- انظر **النشر** ١٨/٢.

١٥- راجع **هداية القارئ** للشيخ المرصفى ص: ٢٩٤-٢٩٥.

١٦- **حرز الأماني**، البيت رقم: ٣٤٥.

١٧- انظر **الفتاوى** : ٣٩٣/١٣، ٣٩٧، ٣٩٩، ٤٠٠.

١٨- **هداية القارئ** ص: ٣٠٢:

١٩- **هداية القارئ** ص: ٢٨٧ باختصار.